الوجوه الأعرابية في قوله تعالى

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

وأثرها في توجيه المعنى العقدي

Grammatical Interpretations in the Verse:

"O Prophet, Allah is sufficient for you and for those believers who follow you"

and Their Impact on Directing the Theological Meaning

م.د. عزت حسين علي

Dr. Izzat Hussein Ali
Lecturer (PhD)

ا.د. رحيم سلوم مرهون

Prof. Dr. Rahim Salloum Marhoon

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص:

تأتي اهداف البحث في دراسة الآية الكريمة في سياق سورة الأنفال التي نزلت لتعالج أحداث غزوة بدر وما تلاها من معاني النصر والتثبيت، إذ كان المسلمون قلة والعدو كثرة، فأنزل الله تعالى تطمينًا للنبي ﷺ وأصحابه بأن الكفاية الإلهية وحدها أساس النصر والتمكين. وقد ورد في سبب نزولها أنها جاءت لتقوية جانب الرسول وأتباعه في مواجهة قوى الشرك، فبيّنت أن الاعتماد على الله يغنيهم عن كل سند آخر، وأن المؤمنين الصادقين الذين التحقوا بالصف الإسلامي إنما هم امتداد لهذا التأييد الإلهي. وتظهر مناسبة الآية لما قبلها في سياق الحديث عن قلة عدد المؤمنين وصبرهم، ولما بعدها في تقرير أحكام الجهاد، فهي حلقة وصل بين تثبيت القلوب وبيان الأحكام العملية.

أما من حيث الوجوه الإعرابية، فقد تناولها النحاة والمفسرون بوجهين رئيسيين: الأول أن {مَنِ اتَّبَعَكَ} معطوف على لفظ الجلالة، فيكون المعنى "كافيك الله والمؤمنون الذين اتبعوك"، وهو وجه يبرز دور المؤمنين كأسباب مادية في تحقيق النصر. والثاني أن {مَنِ اتَّبَعَكَ} معطوف على الضمير في {حَسْبُكَ}، فيكون التقدير "حسبك الله، وحسب من اتبعك الله"، وهذا الوجه أوضح في تقرير أن الكفاية تعود إلى الله وحده، سواء للنبي أو للمؤمنين.

وبهذا يظهر أن اختلاف الإعراب لا يغيّر من جوهر الدلالة العقدية، بل يثريها، حيث يؤكد كلا الوجهين مبدأ التوكل على الله، مع الإشارة إلى أن الأسباب المادية من جنود الله، لكنها لا تستقل بالفعل. فالآية إذن تحمل رسالة عقدية خالدة مفادها أن الكفاية المطلقة لله وحده، وأن النصر معقود بالتوحيد والإيمان.

Abstract

The objectives of this study are to examine the Qur'anic verse in the context of Surah al-Anfal, which was revealed to address the events of the Battle of Badr and the subsequent themes of victory and reassurance. At that time, the Muslims were few in number while their enemies were many, so Allah revealed this verse as a reassurance to the Prophet ﷺ and his companions, affirming that divine sufficiency alone constitutes the foundation of triumph and empowerment. The exegetical reports indicate that the verse was revealed to strengthen the Prophet and his followers in facing the forces of polytheism, clarifying that reliance upon Allah renders them independent of any other support. The verse's coherence with the preceding passage lies in the discussion of the believers' small numbers and their perseverance, while its connection to the subsequent passage is in introducing the rulings of jihad. Thus, it serves as a link between spiritual reassurance and practical injunctions.

From a grammatical perspective, exegetes and grammarians have presented two principal interpretations. The first considers *"wa man ittaba'aka"* (and those

who followed you) as conjoined to the Divine Name, rendering the meaning: "Allah is sufficient for you, and the believers who followed you are also sufficient," which highlights the believers' role as material means of support in achieving victory. The second interpretation takes *"wa man ittaba'aka"* as conjoined to the pronoun in *"hasbuka"* (sufficient for you), meaning: "Allah is sufficient for you, and Allah is sufficient for those who followed you." This reading emphasizes more explicitly that sufficiency belongs solely to Allah, for both the Prophet and his followers.

Accordingly, the difference in grammatical analysis does not alter the core theological meaning but rather enriches it, as both readings affirm the principle of reliance on Allah. At the same time, the role of material causes is acknowledged as part of divine support, without being independently effective. Thus, the verse conveys an enduring theological message: absolute sufficiency belongs to Allah alone, and victory is inseparably linked to faith and monotheism.

المبحث الأول/ سبب نزولها ومناسبتها لما قبلها وبعدها

المطلب الأول/ سبب نزولها

ورد في سبب نزولها روايات من أشهرها:

ما روى سعيد ابن جبير(١)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ، وقال سعيد بن جبير: أسلم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية"(٢) ، وبناءً على هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية

(١) هو: سعيد بن جبير الوالبي مولاهم أبو محمد وأبو عبد الله أحد الاعلام عن بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن مغفل وعنه الاعمش وأبو بشر وأمم، كان فقيها عالماً ورعاً ستشهد في شعبان شهيدا ٩٥. ينظر: تهذيب التهذيب ١١/٤، حلية الأولياء ٢٧٢/٤ .

(٢) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م رواه الثعلبي ٦/ ٧٠ أ، والبغوي ٣/ ٣٧٤، وهو مرسل، ثم إن في سندهما إبراهيم ابن نصر، قال ابن حجر في "تعجيل المنفعة" ص ٢٢: كذبه ابن معين، وقال صالح جزرة: كان يكذب عشرين سنة، وأشكل أمره على أحمد حتى ظهر بعد، وقال النسائي: ليس بثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ. باختصار.

بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .و**عن ابن عباس** - رضي الله عنهما - **أيضًا:** "نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، قال: وسورة الأنفال كلها مدنية غير هذه الآية"(١)، فإنها نزلت بالبيداء(٢) .

المطلب الثاني/ مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

معرفةُ المناسبات بين الآيات القرآنية له أهميةٌ بالغةٌ في كشف الحِكم من ترتيبها بهذا النسق، وذلك يتم عن طريق معرفة العلاقة الدقيقة بين الآيات القرآنية في السورة الواحدة، فتظهر جلياً وجوه الإعجاز البلاغي والبياني، ويسهم في فهم المعاني الدقيقة التي قد يشوبها نوع من الغموض لدى القارئ؛ ولكن عند ربطها بالسياق العام يزول ذلك الغموض المتوهم .

ومن ثم يسهم في بيان الوحدة الموضوعية ويُظهر الترابط والتناسق بين الآيات في السورة الواحدة، ويدفع الشبهات التي تُثار حولها، ويزداد الأمر خطورة إذا تعلق الأمر بمسائل الاعتقاد .

لذلك قبل بيان الوجوه الإعرابية وأثرها في فهم المعنى العقدي نذكر المناسبة بين هذه الآية والآيات التي قبلها لفهم المعنى بشكل دقيق بعيداً عن اللبس .

أولاً: مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: فالمناسبة بين هذه الآية وما قباها من الآيات والتي تبدأ من قوله تعالى: **{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }**(٣) .

فلو نظرنا في هاتين الآيتين لظهر لنا وجه المناسبة وتجليها في الوجوه الآتية:

الوجه الأول: (الحسب) تحدثت الآية عن الحسب وأن الله تعالى هو الذي تكفل بنصر نبيه صلى الله عليه وسلم فإن قوله تعالى **(حَسْبَكَ اللَّهُ)** أي: كافيك الله، أي الذي له صفات العز كلها، ثم علل كفايته أو

وفي السند المذكور أيضًا جعفر بن أبي المغيرة، قال عنه الحافظ ابن حجر في "تقريب التهذيب" ص ١٤١ (٩٦٠): صدوق يهم، والأثر رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٨، وفي سنده جعفر المذكور، ويحيى الحماني: شيخ حافظ، لكنه متهم بسرقة الحديث كما في "تقريب التهذيب" ص ٥٩٣ (٧٥٩١).

(١) هذا قول القشيري، كما في "تفسير القرطبي" ٨/ ٤٢، وينظر: "تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٥، وابن عطية ٦/ ٣٦٢، والرازي ١٥/ ١٩١.

(٢) ذكره مختصرًا الماوردي في التفسير ٢/ ٣٣١، والقرطبي في التفسير ٨/ ٤٣٠.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٢- ٦٣ .

استأنف بيانها بقوله: (**هُوَ الَّذِي**) اي: وحده (**الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ**) أي إذ كنت وحدك (**وَبِالْمُؤْمِنِينَ**) أي بعد ذلك[١]، فجاءت الآية التي هي مدار الدراسة مناسبة جداً، فلما ذكر الله تعالى أن الحسب منه وحده قد يعلق في الذهن هل الحسب مطلقاً خاصاً بالله تعالى ؟ أم أن المؤمنين مشتركون مع الله تعالى في هذا الشأن ؟ فجاءت الآية موضحة لهذا الإشكال الذي هو مدار البحث .

الوجه الثاني: **(التأليف)** وهو الذي ألف بين قلوب المؤمنين مما يعجز الإنسان عن فعل ذلك، ولمَّا وعَدَ اللهُ تعالى نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالكفايةِ والنَّصر، وكان ذلك مشروطًا بالاجتهادِ بحسبِ الطاقةِ، وبذلِ النَّفسِ والمالِ في المُجاهدةِ؛ أمرَه بأن يأمرَهم بالجدِّ في القتال، وعدمِ الهيبةِ للأبطال، في حالٍ مِن الأحوال، فليس عليه إلا أن يُحَرِّضَ المؤمنينَ على القتالِ؛ فإنه تعالى إنَّما يكفيه،فكانت المناسبة ظاهرة بين هذه الآية التي توضح أن التأليف الذي قال الله تعالى عنه (**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) هو بيد من له جميع صفات الكمال؛ لأنه لولا عزته التي تغلب كل شيء ولا يغلبها شيء وحكمته التي يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئاً منه لما تألفوا والذي امدك بهذه الألطاف حي لا يموت باق على ما كان عليه من القدرة والقوة، فهو الكفيل بحراستك ممن يريد خداعك[٢] .

ولما صرح بأن الله كافيه، وكانت كفاية الله للعبد اعظم المقاصد، والتفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقاً أو هو فعل مع المؤمنين أيضاً مثل ذلك، فأتبعها بقوله معبراً بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد، لأنه في سياق الإخبار ببعض المغيبات والتصرف في الملكوت[٣] .

ثانياً : مُناسَبةُ الآيةِ لِما بعدها: لما كان الله عز وجل هو الكافي له وللمؤمنين صار النصر لازماً لهم فقال الله تعالى **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}**[٤] وهذا المناسبة أشارت لها الآية من وجوه:

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ٢٨٣/٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٨٣/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٨٣/٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

الوجه الأول: لما كان الله تعالى هو الكافي لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فمن كان الله تعالى له كافياً وناصراً فلا يخشى من أحد، ويترتب عليه أن يبالغ في تحريض المؤمنين على القتال، وندبهم بكل سبيل إليه[١].

الوجه الثاني: "حَسُن هذا التكليف لما كان مسبوقا بقوله: حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فلما وعد المؤمنين بالكفاية والنصر كان هذا التكليف سهلاً لأن من تكفل الله بنصره فإن أهل العالم لا يقدرون على إذايته"[٢]

المبحث الثاني/ الوجوه الأعرابية وأثرها العقدي

الوجوه الإعرابية ليست مسألة نحوية خالية من المعاني ويعتريها الجفاف والجمود؛ بل هي تؤدي إلى توليد المعاني الجديدة، وتظهر الإعجاز اللغوي وقدرة تحمل النص أكثر من وجه؛ ولذلك فهي تؤدي إلى فهم أعمق للنص ولا سيما النص القرآني؛ وبالنتيجة تصب في خدمة النص .

وهذه الوجوه الإعرابية في الآية القرآنية مدار الدراسة مبنية على الاختلاف في موضع (من) في قوله: {وَمَنِ اتَّبَعَكَ} وهذا الاختلاق قريب من اختلاف المفسرين، وعليه سيكون الحديث في هذا المبحث مبني على الوجوه الإعرابية مع ذكر الأثر العقدي لهذه الوجوه .

المطلب الأول/ الوجوه الإعرابية:

الوجه الأول: الجَر عَطْفًا عَلَى الْكَافِ فِي حَسْبُكَ:

أن تكون الواو الواردة في قوله تعالى (**وَمَنِ**) عاطفة لـ (**مَنِ**) وعطفها يكون على الكاف المجرور في قوله تعالى (**حَسْبُكَ**) وهذا فيه خلاف بين النحويين على قولين:

القول الأول/ المنع: فجمهور البصريين، والفراء[١] يرون أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بعد إعادة حرف الجر[٢]؛ فلا يجوز نحو: **مررت بك وزيدٍ**، لأن العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار لا يجوز[٣]، واعتلوا لذلك بأوجه منها:

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي –بيروت ٣٤/٤ .

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ٥٠٤/١٥.

١- أن الجار والمجرور بمنزلة شيء واحد.

٢- ومنها: أن ضمير الجر شبيه بالتنوين ومعاقب له، فلم يجز العطف عليه كالتنوين[٤].

٣- ومنها: أن حق المتعاطفين أن يصلحا لحلول كل منهما محل الآخر، وضمير الجر لا يصلح حلوله محل المعطوف، فامتنع العطف عليه[٥].

القول الثاني/ الجواز: ويرى الكوفيون ما عدا الفراء جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار؛ وذلك لوروده في التنزيل، وكلام العرب، كقوله تعالى: **{واتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحام}**[٦] بالجر[٧]، وقوله تعالى: **{يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وما يُتْلَى عَلَيْكُمْ}**[٨] وغيرها من الآيات والشواهد الشعرية[٩].

---

(١) الفراء العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي. قال ثعلب: لولا الفراء لما كانت العربية، ولسقطت، لأنه خلصها، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد. وقال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى. ينظر: "سير أعلام النبلاء" (٤٣٤/٨).

(٢) ينظر: الكتاب. سيبويه: ط (١) بولاق، ١٣١٦هـ ١ / ٣٩٢ .

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف. أبو البركات الأنباري: ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ١٩٨٢م ٢ / ٦٥، والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ت: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه ٦٣١/٢.

(٤) ينظر: شرح التسهيل. ابن مالك: ت: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط (١)، مصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ٣ / ٣٧٥.

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية. ابن مالك: ت: د. عبد المنعم أحمد هريدي، ط (١)، دار المأمون للتراث ١٤٠٢هـ ٣ / ١٢٤٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١ .

(٧) ينظر: السبعة في القراءات. ابن مجاهد: ت: د. شوقي ضيف، ط (٢)، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ.٢٢٦، المبسوط في القراءات العشر. أبو بكر الأصبهاني: ت: سبيع حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق١٧٥.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧٦ .

(٩) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٦٥.

وخلاصة المعنى في هذا الوجه الإعرابي هو: حسبك الله وحسبك المؤمنين، أي كافيك الله وكافيك المؤمنون[١] . وممن ذهب إلى هذا القول مجاهد رضي الله عنه في الآية قال: يقول: حسبك الله والمؤمنون[٢]. والمؤمنون[٢]. وسيأتي مناقشة هذا القول في موضعه .

الوجه الثاني/ النصب بفعل محذوف .

وهو ما ذهب إليه الزمخشري وهو أن الواو بمعنى مع وما بعده منصوب فهو كقولهم: "حسبك وزيداً درهمٌ" ولا تَجُرَّ لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع ولا تجرّ لأن عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع، والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا. ومنه قول الشاعر:

...فحسبك والضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

ويكون التقدير في الآية: كفاكَ وكفى اتَّبَاعَكَ المؤمنين اللهُ ناصرًا[٣]. والمعنى يكون: الله تعالى يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين وهذا أصح التقديرين .

الوجه الثالث: الرفع على الابتداء .

وفي هذا الوجه تكون في موضع رفع على الابتداء، أي: ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله . وفيها تقدير رابع، وهو خطأ من جهة المعنى، وهو أن تكون من ((في موضع رفع عطفاً على اسم الله، ويكون المعنى: حسبك اللهُ وأتباعُك)) [٤] .

وهذا وإن قاله بعض الناس، فهو خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه؛ فإن الحسب و الكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، قال الله تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ ٣٨/٤، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري الشافعي، ت: الدكتور هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ٦٦/١١ .

(٢) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت ١٠١/٤.

(٣) ينظر: الكشاف (٢/ ١٦٧)، الدر المصون (٥/ ٦٣٢) .

(٤) ينظر: محاسن التأويل،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ٣٢١/٥.

بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)[١]، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده .

وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[٢] .

ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله فإذا كان هذا قولهم، ومدح الرب تعالى لهم بذلك، فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب، ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟! هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل. [٣]

ونظير هذا قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)[٤] .

فتأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله، كما قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)[٥]، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا: حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال تعالى: (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)، ولم يقل: وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، كما قال تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)[٦]، فالرغبة، والتوكل، والإنابة، والحسب لله وحده، كما أن العبادة، والتقوى، والسجود لله وحده، والنذر والحلف لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

ونظير هذا قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)[٧]، فالحسب: هو الكافي؛ فأخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟ !

---

(١) سورة الأنفال:٦٢ .

(٢) سورة آل عمران:١٧٣ .

(٣) ينظر: محاسن التأويل،محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ٣٢١/٥.

(٤) سورة التوبة:٥٩ .

(٥) سورة الحشر: من الآية٧ .

(٦) سورة الشرح: ٧–٨ .

(٧) سورة الزمر: من الآية٣٦ .

المطلب الثاني/ الأثر العقدي:

حاصل ما تقدم من وجوه إعرابية ترجع إلى قولين:

القول الأول: المعنى: يا أيها النبيّ حسبك اللهُ، وحسب من اتبعك من المؤمنين اللهُ . وهذا القول مروي عن ابن عباس(١) رضي الله عنهما، الشعبي(٢)، وابن زيد(٣)، ومقاتل(٤). وهو قول الأكثرين.

القول الثاني: أن يكون المعنى: كفاك الله، وكفاك أتباعك من المؤمنين . وهذا القول منسوب إلى مجاهد(٥) .

وأكثر المفسرين على القول الأول، وهذا بيان لموقف بعضهم:

فسّر ابن جرير الآية على القول الأول، وذكر الآثار التي تدل عليه، ثم ختم تفسيره للآية بذكر القول الثاني منسوباً إلى بعض أهل العربية(٦)، ولم يعلق عليه بشيء(٧) .

وذكر ابن عطية القولين في تفسير الآية، وبيّن وجه كل قول من جهة الإعراب، ولم يذكر ترجيحاً، أو اختياراً(٨) .

وكذلك الإمام الرازي؛ ذكر القولين، ونقل تعليق الفراء على كل قول منهما . وذكر أن مما ينصر القول الأول: أن من كان الله ناصره امتنع أن يزداد حاله أو ينقص بسبب نصرة غير الله .

---

(١) نسبه إليه من رواية أبي صالح ابنُ الجوزي في زاد المسير ٣٧٧/٣ .ولم أره في الكتب المسندة التي وقفت عليها.

(٢) أخرجه عنه البخاري في تاريخه ٢٦١/٤، وابن جرير في تفسيره ٤٩/١٤ من عدة طرق . ينظر: الدر المنثور للسيوطي ١٩٣/٧ .

(٣) أخرج قوله ابن جرير في تفسيره ٤٩/١٤ .

(٤) ينظر تفسير مقاتل بن سليمان ١٢٤/٢ .

(٥) أخرج قوله أبو محمد إسماعيل بن علي الخُطبي في الأول من تحديثه بلفظ: حسبك الله والمؤمنين . ينظر: الدر المنثور المنثور للسيوطي ١٩٣/٧ .

(٦) يقصد به الفراء في ينظر: كتابه معاني القرآن ٤١٧/١ ؛ فقد ذكر أن هذا أحب الوجهين إليه .

(٧) ينظر: جامع البيان ٤٨/١٤-٥٠ .

(٨) ينظر: المحرر الوجيز ٣٦٨/٦-٣٦٩ .

ولعله يعني أن من كان الله ناصره، وحسبه؛ فليس بحاجة إلى كفاية غيره.

ثم قال: "ويمكن أن يجاب عنه بأن الكل من الله، إلا أن من أنواع النصرة ما لا يحصل بناء على الأسباب المألوفة المعتادة، ومنها ما يحصل بناء على الأسباب المألوفة المعتادة . فلهذا الفرق اعتبر نصرة المؤمنين" [١] .

وكذلك القرطبي؛ ذكر القولين، وزاد نسبة القول الثاني للحسن، ونقل كلام النحاس في إعراب القرآن، واختياره للقول الثاني[٢] .

ووافق أبو حيان الفراء، والنحاس في اختيار القول الثاني، وذكر أنه هو الظاهر . ثم ذكر القول الآخر، ولم يحكم على معناه بشيء، ولكنه أطال في التعليق عليه من جهة التوجيه النحوي . [٣]

واكتفى ابن كثير بإيراد أثر الشعبي الذي أخرجه ابن أبي حاتم، غير أن كلامه الذي فسّر به الآية مبني على القول الأول[٤] .

واختار ابن عاشور القول الثاني، وذكر ما يحسن نقله هنا؛ قال: (فإنّه لمّا أخبره بأنّه حَسبه وكافيه، وبيّن ذلك بأنّه أيّده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين، فقد صار للمؤمنين حظٌ في كفاية الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فلا جرم أنتج ذلك أنّ حسبه الله والمؤمنون، فكانت جملة: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) كالفذلكة[٥] للجملة التي قبلها .

وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكفاية لتشريف مقامه بأنّ الله يكفي الأمّة لأجله ...وفي عطف المؤمنين على اسم الجلالة هنا: تنويه بشأن كفاية الله النبي صلى الله عليه وسلم بهم، إلاّ أنّ الكفاية مختلفة .... وقيل يُجعل (وَمَنِ اتَّبَعَكَ) مفعولاً معه لقوله: (حَسْبُكَ) بناء على قول البصريين إنّه لا يعطف على الضمير المجرور اسم ظاهر، أو يجعل معطوفاً على رأي الكوفيين المجوّزين لمثل هذا العطف .

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ١٥٣/١٥ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٣/٨ .

(٣) ينظر: البحر المحيط ٣٤٨/٥-٣٤٩ .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٦٠٧/٤ .

(٥) الفذلكة مأخوذة من قولهم: "فذلك كذا"، وهي في كلام العلماء: إجمال ما فصّل أولاً . كذا ذكر الخفاجي في حاشية البيضاوي . ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوني ١٢٦٤/٢ . [ط: مكتبة لبنان – ناشرون – الأولى – ١٩٩٦].

وعلى هذا التقدير يكون التنويه بالمؤمنين في جعلهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا التشريف . والتفسير الأول أولى، وأرشق. [١]

ومن العرض السابق يتبين أن كفة القول الثاني هي الراجحة من حيث كثرة المختارين له؛ فقد اختاره الفراء، والنحاس، وأبو حيان، وابن عاشور .

وقد وافقهم السمين الحلبي على اخياره أيضاً، فوافق أبا حيان في حكمه عليه بأنه القول الظاهر من لفظ الآية، وأضاف: (ولا محذور في ذلك من حيث المعنى، وإن كان بعض الناس استصعب كون المؤمنين يكونون كافين النبي صلى الله عليه وسلم [٢]

وقد صرح بترجيح القول الأول جماعة من المفسرين، ومنهم: أبو سليمان الدمشقي فقد صرح بأن القول الأول أصح[٣]، والشنقيطي؛ فقد ذكر أن الآيات القرآنية تدل على تعيّن هذا القول، وأن المعنى: كافيك الله، وكافي من اتبعك من المؤمنين لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده . ثم ذكر الآيات التي أوردها ابن القيم في كلامه السابق .

وخلاصة القول فيما تقدم: لا يخفى أن الآية الكريمة محتملة للفظين من جهة اللفظ، وأكثر المعربين على أن احتمال الآية للقول الثاني أظهر من هذه الجهة.

أما من جهة المعنى؛ فإن القول الأول هو المتعين؛ لأن معناه هو المعنى الذي دلت عليه الآيات القرآنية التي المتقدمة، وقد تقرر أن المقدّم في مثل هذا الحال: مراعاة المعنى؛ لأن كلام الله تعالى ينبغي حمله على أكمل المعاني، وأفضلها.

وهنا تنبيهات مهمة وهي:

التنبيه الأول: نوع الخلاف وثمرته:

الخلاف السابق بين القولين في معنى الآية خلاف تنوع من جهة احتمال اللفظ لهما، وخلاف تضاد من جهة المعنى؛ إذ القائلون بالقول الأول ينفون القول الثاني، ويبطلونه.

---

(١) التحرير والتنوير باختصار ٦٥/١٠ .

(٢) الدر المصون ٦٣٢/٥ .

(٣) نقل ترجيحه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٧/٣ .

وثمرة الخلاف تظهر من جهتين: الجهة الأولى: الجهة النحوية؛ فينبغي أن تعرب الآية على المعنى الصحيح. **الجهة الثاني** - وهي الأهم -: الجهة العقدية؛ فعلى القول الأول تفيد الآية ما أفادته آيات أخرى كثيرة من أن التوكل لا يكون إلا على الله وحده، وأن الكافي والحسيب هو الله وحده – جل وعلا . -

وعلى القول الثاني تفيد الآية أن لغير الله نوعاً من الكفاية والحسب.

التنبيه الثاني: سبب الخلاف:

الخلاف السابق له سببان ظاهران: **الأول**: الاختلاف في وجوه الإعراب. **والثاني**: الاختلاف العقدي بين المفسرين في مسألة الكفاية والحسب؛ هل هي لله وحده، أم يجوز أن يكون لغيره نوع منها ؟

التنبيه الثالث: من أسباب الخطأ في التفسير: أن يراعي المفسر، أو المعرب ما يقتضيه ظاهر الصناعة النحوية، ولا يراعي المعنى . وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك . وقد سبق التنبيه على هذا السبب.

التنبيه الرابع: من أنواع بيان القرآن للقرآن: أن يكون في الآية قولان، وتكون الآيات القرآنية الأخرى دالة على معنى أحد هذين القولين؛ فيُرجح هذا القول.

خلاصة الأثر العقدي:

الأثر العقدي للقول الأول: هذا الوجه يرسخ عقيدة التوحيد بشكل مطلق، حيث يشدد على أن الكفاية المطلقة هي لله وحده، وأن وجود المؤمنين معه هو من باب المصاحبة والمؤانسة ومن باب الأسباب . بمعنى أن الله هو الذي يكفي رسوله كفاية ذاتية ويكفي اتباعه، ووجودهم للمؤانسة والمؤازرة، وليس لمشاركة الله في الكفاية.

الأثر العقدي للقول الثاني: هذا الوجه يؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو الملاذ الحقيقي والكافي للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه يضيف إلى ذلك أن المؤمنين المتبعين له يشكلون قوة وسندًا له أيضًا، وأن الله يكفيه بهم. هذا المعنى لا يشرك المؤمنين مع الله في الكفاية الذاتية، بل يجعلهم سببًا من الأسباب التي سخرها الله لنصرة نبيه. هذا التأكيد يُعزز من الترابط بين القيادة النبوية والأمة المؤمنة، ويُظهر أن المؤمنين هم جزء لا يتجزأ من النصر والعون الذي يقدره الله لرسوله.

الخاتمة

بناءً على ما تقدم في البحث، يمكن صياغة خاتمة شاملة وموجزة تعكس أهم النتائج التي توصلت إليها، مع التركيز على النقاط الرئيسية التي تناولها البحث.

في ختام هذا البحث، وبعد دراسة مستفيضة لسبب نزول الآية الكريمة ومناسبتها، بالإضافة إلى استعراض الوجوه الإعرابية المختلفة وأثرها العقدي، يمكن إجمال أهم النتائج والتوصيات فيما يلي:

أولًا: نتائج البحث

١- سبب النزول: تبين أن الروايات الواردة في سبب نزول الآية غير قطعية، وأنها تتراوح بين كونها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب أو في غزوة بدر، مما يجعل الاعتماد عليها ليس أساسًا وحيدًا لفهم الآية.

٢- المناسبة والسياق: أوضح البحث أن فهم المناسبة بين الآية وما قبلها وما بعدها أمر بالغ الأهمية، حيث يُظهر ترابط النص القرآني وتناسقه. فالآية جاءت لتؤكد أن الله تعالى هو وحده الكافي لنبيه، وأن تأييده بالمؤمنين هو نوع من النصر وليس شركًا في الكفاية والحسب.

٣- الخلاف الإعرابي وأثره: كشف البحث عن وجود خلاف جوهري بين النحويين والمفسرين حول إعراب "ومَن اتبعك". ورغم ترجيح بعضهم للجانب النحوي (جواز العطف)، إلا أن الأثر العقدي الصحيح يوجب الأخذ بالقول الذي ينسجم مع الأصول العقدية للقرآن الكريم، وهو أن الحسب والكفاية لله وحده.

ثانيًا: التوصيات

١- ضرورة الجمع بين علوم القرآن المختلفة (كعلوم التفسير واللغة والنحو) لفهم النص القرآني فهمًا سليمًا.

٢- التأكيد على أن القواعد النحوية تُخدم النص القرآني ولا تتحكم فيه، وأن المعنى العقدي السليم يجب أن يكون مرجحًا عند التعارض.

٣- التنبيه على أن الخلاف في مثل هذه المسائل قد يكون خلاف تنوع من جهة اللفظ، وخلاف تضاد من جهة المعنى، مما يستدعي ترجيح المعنى الذي لا يمس العقيدة الصحيحة.

وفي الختام، نسأل الله أن يرزقنا الفهم الصحيح لكتابه، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، غير محددة.
٢. أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد، حمص، ١٤١٥ هـ.
٤. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢ م.
٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.
٦. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، غير محددة.
٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
٨. تعجيل المنفعة، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٩. تفسير السمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م.
١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩ م.
١١. تفسير الماوردي، علي بن محمد الماوردي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ م.
١٢. تفسير حدائق الروح والريحان، محمد أمين الهرري، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
١٣. تقريب التهذيب، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦ م.
١٤. تهذيب التهذيب، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦ هـ.
١٥. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠١ م.
١٦. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م.
١٧. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.
١٨. الدر المصون، شهاب الدين الحلبي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤ م.
١٩. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، غير محددة.
٢٠. زاد المسير، جمال الدين ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٢١. السبعة في القراءات، أبو بكر ابن مجاهد، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠ هـ.
٢٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥ م.

٢٤. شرح التسهيل، ابن مالك، دار الأندلس، جدة، ١٤٠٦ هـ.
٢٥. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، دار المأمون للتراث، القاهرة، ١٤٠٢ هـ.
٢٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٢٧. كتاب السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.
٢٨. كتاب الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.
٢٩. الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه، بولاق، مصر، ١٣١٦ هـ.
٣٠. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦ م.
٣١. الكشاف، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧ م.
٣٢. المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر الأصبهاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠ م.
٣٣. المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢ م.
٣٤. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م.
٣٥. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٣٦. نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.